بيان رئيس البرلمان الأوروبي، هانز جيرت بوتيرينج،

حول الوضع في الشرق الأوسط

شتراسبورج، 12 يناير 2009

الزميلات والزملاء الأعزاء،

لقد طلب مني رؤساء المجموعات السياسية في اجتماعهم تقديم بيان حول الأحداث التي تجري في الشرق الأوسط.وجرت المناقشات بعد ظهر يوم الأربعاء.

وبينما نحن نجتمع جميعاً هنا بكامل هيئتنا في بداية هذا العام الجديد، يتساقط القتلي مرة أخرى في الشرق الأوسط.

وبشكل شخصي تماماً، لا يسعني عند رؤية الصور على شاشة التليفزيون أن أمنع نفسي عن استعادة ذكرى أليمة لما حدث من قبل، وهو الأمر الذييحدث بالتأكيد بالنسبة للغالبية منكم.

وباسم البرلمان الأوروبي أرغب في التعبير عن عميق أسفي لتفاقم الصراع في غزة بين إسرائيل وحماس.

وأقول بكل وضوح: أنه ليس من المقبول أن تستمر معاناة الشعب فيتطور العنف، ويصل الأمر حالياً إلى قصف العاملين في الأمم المتحدة. إلى أي مدى يجب أن تتسع دائرة العنف حتى يسود التعقل والتفهم؟

يجب أن نضع نهاية عاجلة للعنف على كلا الجانبين. فمن غير المقبول تمامًا أن تقوم حماس بقصف المدن الإسرائيلية بالصواريخ، الأمر الذي يحتم توجيه أقصى درجات النقد لها. ولا ينبغي أيضاً أن ننسى أن حماس هي من أنهت الهدنة. ولكن لا ينبغي أيضاً أن نغفل عن تكافؤ الوسائل فيما بينهما.

فكل الناس في الشرق الأوسط لهم نفس الكرامة.فحق أي دولة في حماية نفسها والذي لا يجوز التفريط فيه لا يبرر أعمال العنف التي تتسبب بالدرجة الأولى في معاناة السكان المدنيين.

يجب وبشكل عاجل مساعدة المواطنين في قطاع غزة. فكرامة المواطن الفلسطيني تتساوى مع كرامة المواطن الإسرائيلي. ولا ينبغي أن نسمح بتدهور الوضع الإنساني أكثر مما هو عليه الآن.

من منطلق المسئولية السياسية يجب أن نكون على استعداد للمشاركة بحسم للمرور من هذا الموقف العابر وصولاً لإيجاد حل دائم للخروج من دائرة العنف.

وقد أثبت تخفيض الأمن فشله لاعتبارات عسكرية تمامًا. لذا فليس من الممكن إيجاد حل عسكري فقط لمشكلة الشرق الأوسط. حيث يجب في النهاية الوصول لحل سياسي. وهذا يعني بالدرجة الأولى الاعتبار من الأساليب التي أثبتت فشلها حتى الآن. من ثم فإن الأمر يدور حالياً حول اتخاذ إجراءات ليس من شأنها فقط أن تجد حلاً للوضع ولكن بالدرجة الأولى أن تكون دائمة.

في الأيام الماضية قمت بإجراء اتصالات هاتفية مع الرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز، ومع رئيس وزراء السلطة الفلسطينية سلام فياض، ومع رئيسة الكنيست داليا إيتسيك، وبالطبع مع المفوض السامي في الاتحاد الأوروبي للسياسة الخارجية والأمن خافيير سولانا، الذي أقام فترة طويلة في المنطقة.

كما تلقيت أيضا اتصالاً من نواب رئيس الجمعية البرلمانية الاورومتوسطية : رئيس البرلمان الأردني عبد الهادي المجالي، ورئيس مجلس النواب الإيطالي جيانفرانكو فيني، ورئيس البرلمان المغربي مصطفى منصوري.

وقد أوضحت دائماً في كل تلك المحادثات أن البرلمان الأوروبي يؤيد بشكل كامل المطالب التي صاغها مجلس الوزراء للاتحاد الأوروبي واعتمادها بقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بتاريخ 8 يناير.

ما يدعو للقلق، زميلاتي وزملائي الأعزاء، أن هذا القرار الملزم قانوناً، قد تجاهله كلا الطرفين المتصارعين، إسرائيل وحماس.

- يجب التوصل لوقف إطلاق نار سريع ودائم. وهو ما يجب التوصل إليه بوساطة مصرية كما يجب أن يشمل كل الأطراف المعنية.

- يجب توفير ممر آمن مفتوح بأسرع وقت ممكن للمساعدات الإنسانية، ومنح وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغل الفلسطينين (الأونروا) الوضع الذي يمكنهم من مواصلة أنشطتهم الإنسانية بدون أي عوائق. وأريد أن أضيف: ليس فقط ثلاث ساعات في اليوم!
  إذا اضطرت حتى المنظمات الإنسانية والأمم المتحدة لإيقاف عملها لأن الأطراف المتحاربة لا تراعي ما تتمتع به من حيادية، فإننا بذلك نكون قد وصلنا إلى هوة سحيقة على المستوى الإنساني ومستوى القانون الدولي لا يمكننا قبولها!

- المطلب الثالث هو تقوية عملية السلام. إن الأساس الوحيد لعملية سلام دائم قادر على الصمود لا يزال يتمثل في حل وجود دولتين، إسرائيل وفلسطين، كدولتين مستقلتين لهما حدودهما الآمنة.

يجب على الاتحاد الأوروبي بالتعاون مع أعضاء الرباعية، والشركاء العرب المعتدلين وكل أطراف النزاع العمل على الاستئناف السريع لمفاوضات السلام تحت مظلة الأمم المتحدة. ولكن بالطبع الحل الأشمل يتطلب أيضاً التوفيق بين الجماعات الفلسطينية.

هنا وبشكل خاص تماماً يجب أن نطرح على أنفسنا سؤالاً حول السبل التي سلكنها حتى الآن فيما يسمى بعملية السلام.

على الرغم من الظروف المحيطة الصعبة المعروفة والتقدم غير الملموس تقريباً، إلا أنه قبل أسابيع قليلة بإمكاننا أن نتحدث عن وضع منطقي قابل للخضوع للمفاوضات . وقد شارك المجتمع الدولي وقبله الاتحاد الأوروبي في تلك المفاوضات بالتزامنا القوي نحوها مساندتها مادياً لوضع شروط إطارية لتأسيس الدولة الفلسطينية.

ولكن هل كان هذا الالتزام كافياً سياسياً بدرجة كبيرة؟ هذا السؤال يجب أن نطرحه على أنفسنا. في تلك الظروف نجد أنفسنا في وضع يحتم علينا أن نزيد من الوتيرة. من البديهي أن يميل المرء في أوقات إدارة الأزمات إلى التفكير ولكن لفترة زمنية محدودة. بشكل مباشر، نحن نحتاج في الواقع إلى وقف فوري لإطلاق النار وإلى انسحاب كامل للقوات العسكرية الإسرائيلية، كما طالبها بذلك أيضاً مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

إن تجاربنا السابقة خلال العقود الماضية تنبؤنا أن السلام في الشرق الأوسط لا يمكن أن يأتي من داخل المنطقة وحدها.كما لا يمكن أن يتحقق بدون التوفيق بين أطراف النزاع المتصارعة.

من ثم يجب على المجتمع الدولي أن يكون على استعداد، أكثر من أي وقت مضى، لدفع عملية السلام في الشرق الأوسط، حتى لا تبقى الأحداث المريرة التي دارت راحها في العقود الأخيرة كتجارب مريرة لعقود أخرى قادمة.

يمكن ويجب أن تساعد القوات الدولية في تأمين وقف إطلاق النار. لهذا فيجب علينا أن نبذل كل الجهود لإنجاح الخطة الفرنسية المصرية بشكل حقيقي، من أجل توظيف الآلية الدولية لتأمين حدود غزة. والأولوية بالطبع لضرورة وقف تهريب الأسلحة والصواريخ. وقد أعلن الاتحاد الأوروبي بالفعل في بداية عملية (أنابولس) في مسودتها، أنه على استعداد للاشتراك في هذه الصيغة.

ولكن دعوني أبرز شيئاً خاصاً: استعمال قوات الأمن الأوروبية والدولية لا ينبغي أن يضمن وقف إطلاق النار لفترة قصيرة وحسب.

بل يجب أن يهدف للوصول إلى هدف سياسي واضح، ألا وهو: إيجاد الثقة الضرورية لإتمام محادثات السلام، بحيث يضمن الأمن للإسرائيليين والفلسطينيين على حدٍ سواء.

هذا يعني الاستخدام المحتمل لقوات معنية فقط بعمل انتداب قوي يزيد من الضغط السياسي على كل الأطراف بهدف الوصول إلى حل سلمي.

نحن لا نحتاج إلى مجرد إعلان مكرر عن السلام، قد قمنا بصياغته وسماعه كثيراً جداً في الماضي كهدف يرجى تحقيقه. إن ما نحتاجه هو الاستعداد، ليس فقط لإرادة السلام، ولكن لإبرامه، وبالتحديد قبل أن الكراهية، التي تحققت عبر عقود، توسعها وتتسبب في تأجج الموقف.

وختاماً فإنني أتذكر، زميلاتي وزملائي الأعزاء، أن عام 2008 كان هو العام الأوروبي لحوار الحضارات. وأتذكر إلى أي مدى قام برلماننا ببذل الجهد لجعل هذا العام باعثًا للأمل والتفاؤل، وتوظيف مختلف التصريحات السياسية لتأكيد أن صدام الحضارات ليس ناموساً من نواميس الكون.

إن ردود الأفعال العالمية على الحرب في غزة أظهرت مدى إمكانية أن يتم إحباط المجهودات حول حوار الحضارات بشكل سريع، عندما نستطلع حقيقة الصور التي نشاهدها يومياً في نشرات الأخبار. ما هو أسوأ أن تلك الحقيقة في أيدي متطرفين ومتعصبين ليس هدفهم هو السلام ولكن استمرار دائرة المواجهة.

فالعنف يولد عنفاً جديداً. هذا الرأي لم يتم تكراره كثيراً بشكل كاف.

الحوار والمفاوضات وحدهما هما الطريق للخروج من الأزمة. كلاهما ليسا هدفاً في حد ذاته ولكن يجب أن يتم إجرائهما بشجاعة بهدف أن يعيش المواطنون في إسرائيل وفلسطين في أمان حقيقي وفي سلام مع مراعاة كرامتهم.

زميلاتي وزملائي الأعزاء، أشكر لكم اهتمامكم!